تجاه ذلك التغير وأوضاعهم من منظور إبستيمولوجي وإيتيقي متكامل؛ أي أن تدقق في كيفيات استجابة الخطاب العلمي الاجتماعي العربي، من حيث التناول والتحليل، فهما وتأويلا لما يجري أمام ناظري صانعيه من ممارسات وأفعال، وما ينبني من تصورات وتمثلات. يبدو من التحاليل التي بين أيدينا، أن تحليل ما يجري الآن، متعلق بالعمل على استدماج مكتسبات العلماء الاجتماعيين العرب من ماضي التاريخ الثقافي العربي (عبد الجبار متحدثا عن الوردي)، أو من حاضر المنجز الفكري غير العربي (النجار متحدثا عن النقيب)، أو من ماضي التاريخ الثقافي الأوروبي (بدوي مستذكرا رادكليف براون). كما يبدو أن البعض الآخر متعلق بالتوفيق في استثمار سَبْقِ بعض التجارب العربية في التأسيس للعلم الاجتماعي، وذلك بالعمل، إما على إعادة توطينها في أقطار غير أقطارها الأصلية، أو بالعمل على عكس ذلك (حالات مقارنة بين اليمن وعمان والسعودية). ويبدو أخيرا، وفضلا عن ضرورة الانتباه إلى ميراث السوسيولوجيا الاستعمارية وتلوّناته المختلفة (الزاهي)، أن بعضا أخيرا من تحليل الخطاب العلمي الاجتماعي العربي للثورات العربية الأخيرة، مرتبط بالتنبيه إلى ضرورة تدبّرٍ أكثر انفتاحاً على تجارب إسلامية رائدة (حنفي متحدثا عن ماليزيا) في الربط بين إسهام العلم الاجتماعي في «النهضة» المجتمعية، وكيفيات الاستفادة من تعدد المناظير والرؤى وزوايا التحليل الظاهرة الاجتماعية.

ويستدلّ من إسهامات الملف إذن، أن حركة اجتماعية تاريخية تمسّ بُنى المجتمع وآليات اشتغاله من جهة، وكيفيات تناقل العلم الاجتماعي وصناعته من جهة ثانية، وهي حركة بصدد فتح الآفاق أكثر فأكثر نحو اندلاع منتظر ومحمود، لمعارك حقيقية في العلم الاجتماعي وحوله في آن معا. وبالفعل، وعلى الرغم من أن تركيز إسهامات الملف متفاوت على عدد من القضايا، فإنها تشمل تنظيم إنتاج المعرفة العلمية الاجتماعية العربية في الجامعات ومراكز البحوث العمومية والخاصة، ومخابر البحث ومجموعاته الجامعية وغير الجامعية، كما تشمل أيضا هياكل الاختصاص وتشبيكاتها المحلية والوطنية والإقليمية والدولية، والعلاقات مع المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية، وبما يضم الأثر الاجتماعي للمعرفة الاجتماعية، كما تشمل الإسهامات النشر العلمي من ألسنة نشر، وآليات انتشار، وكيفيات تداول المنشورات، وإشكالات النشر الورقي والنشر غير الورقي، وآليات التحكيم، وضبط معايير الجودة، وترسيخ مقاييس تقنيات الكتابة والتوثيق، كما تشمل الحركة التناقل الجيلي للمعرفة العلمية الاجتماعية وموقع الأجيال الصاعدة من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين العرب فيها، والاستيعاب الحالي للتراث المعرفي، ونقل التراث عبر التدريس والبحث التقويمي، والتدريب وتكوين الأطر، وتبادل الخبرات...

في هذا السياق، وإذا ما اعتبرنا أننا بصدد ملف يعالج بعض مظاهر العلم الاجتماعي المنتج في الجنوب الكوني، أمكن لنا أن نضع بعض إسهاماته على مستوى التجادل بين مواريث العلم الاجتماعي العربي من جهة، وآفاقه «ما بعد الكولونيالية»، أو «ما بعد الاستبدادية» الممكنة من جهة ثانية. وأهم ما في تلك المجادلة، هو أننا نقف على أن أمرها ليس سياسيا أيديولوجيا، بقدر ما هو نظري، ومفهومي ومنهجي.